(تفسير "الم غلبت الروم") سبحانك اللهم يا إلهي

حضرة عبد البهاء

النسخة العربية الأصلية

تفسير الم غلبت الروم – من آثار حضرة عبدالبهاء – على اساس مكاتيب عبدالبهاء، جلد ١، الصفحة ٦٢

﴿ هو الأبهى ﴾

سبحانک اللهم یا إلهی قد نزلت من سماء عز أحدیتک میاه الوجود بجودک و رحمانیتک و أمطرت من سحاب سماء عز فردانیتک أمطار فیوضات صمدانیتک حتی سالت بهذه الموهبة العظمی أنهار فیضک الأعظم فی أراضی الحقائق الممکنة بإنشائک و سقیت بهذه الأنهار الجاریة الملکوتیة کل الأراضی و البلاد و أرویت بهذه الغیوث الهاطلة اللاهوتیة کل التلال و الدیار و أشرقت علیهم بشمس رحمانیتک من أفق قدس کبریائیتک و زرعت یا إلهی فی أراضی القابلیات حبوب کلماتک العلیا و آیاتک العظمی بلطفک و رأفتک الکبری و لکن بما کانت تلک الحقائق الموجودة المتقابلة المتجلیة بشمس اسمک الأعظم مختلفة متفاوتة بعضها یا إلهی- کما أحصیت بعلمک المکنون - أفئدة صافیة لطیفة انطبعت فیها آیاتها و ظهرت منها شئون آثار مجلیها و اهتزت و ربت أرضها و نبتت منها ریاحین حبک و معرفتک و تزینت بأزهار قدس جذبک و شوقک کأرض طیبة مبارکة و بعضها یا إلهی لما کانت أفئدة متکدرة محجوبة بصدإ الأوهام و محتجبة عن ربها بحجب الظلام لم یظهر فیها آثار مجلیها و آیات بارئها و مقدرها و فسدت

فی أرضها حبوب ذکر ربها کأرض خبیثة جرزة و لکن یا محبوبی ما فرطت عند تجلیک علی الممکنات و ظهور آثارک فی حقائق الموجدات کما قلت و قولک الحق: ما تری فی خلق الرحمن من تفاوت - و ما خلقکم و ما بعثکم إلا کنفس و احدة

حینئذ أسألک باسمک الذی لو ألقی علی الجبال لاندکت و سیرت و لو ألقی علی البحور لسجرت و لو ألقی علی الأغصان الیابسة لاخضرت و أثمرت و علی العمی لأبصرت و علی البکم لنطقت و علی الصم لسمعت و علی الأموات لقامت بأن ترفع الحجاب الذی حال بینک و بین خلقک و منعهم عن الورود علی معین رحمانیتک و عن السلوک فی سبیل عز توحیدک و عن الاستماع من ألحان طیور عرشک و الشرب من کأوس حبک و عرفانک لأنهم أذلاء ببابک و فقراء عند ظهور غنائک لا یملکون لأنفسهم نفعا و لا ضرا و لا حیوة و لا نشورا ثم ارفع یا إلهی تلک الأفئدة الصافیة إلیک و عرجهم بجناح التوحید فی هواء بهاء عماء تفریدک و تجل علیهم فی کل آن بما تتلطف هذه الحقائق الموحدة و هذه القلوب المقدسة لأنه لم یکن لآیاتک من بدایة و لا نهایة و لا لشئونک من أول و لا آخر لو تتجلی علی المخلصین من بریتک فی کل آن بکل الشئون التی لم یحصها أحد إلا أنت لا ینقص شیء من خزائنک القدیمة و لا یقل شیء من کنوزک المکنونة فارحم یا إلهی عبادک المفتقرین ثم أسکنهم فی ظلال شجرة رحمانیتک و ارزقهم من المائدة التی نزلت من سماء عز فردانیتک لأنک أنت المعطی بالحق و إنک أنت الغفور الرحیم و أنت تعلم یا إلهی بأن هذا العبد أفقر عبادک فی ملکک و أذل بریتک فی بلادک فکیف بهذا الفقر الأعظم أقتدر أن أتفوه بالمعانی المندرجة المندمجة فی حقائق کلماتک و الأسرار التی حجبتها عن أعین العارفین خلف سرادق آیاتک و لکن لما أمرتنی بهذا لذا أخذت القلم متوکلا علیک و متکئا بفضلک و رحمتک فإنک یا إلهی إن أردت لأجریت من القلم الفانی بحور معرفتک و طمطام أسرارک و إن لم تشأ یخرس لسان القلم الأعلی بین ملأ الإنشاء و ینقطع منه فیضان آثار القدم بین الإمم الأمر بیدک تفعل ما تشاء و تحکم ما ترید و حدک لا إله إلا أنت المقتدر العزیز الکریم

یا أیها السائل البارع الصادع فاعلم بأن فی کل کلمة من کلمات ٱللّٰه تموج بحور أسرار لا نهایة لها و إن کل حرف من آیات ربک لمشرق شموس رموز و آثار و حقائق لا یحصیها أحد إلا الله ربک و رب آبائک الأولین مع ذلک کیف یستطیع المداد أن یجری بهذه الأسرار و لو کان بحورا و کیف یکفیها الأوراق و لو کانت صفحات الآفاق لیس لهذه الموهبة الکبری من نهایة و لهذه الرحمة العظمی من بدایة حتی تنفذ کما قال الحق: لو کان البحر مدادا لکلمات ربی لنفد البحر قبل أن تنفد کلمات ربی و لو جئنا بمثله مددا و لکن ما لا یذکر کله لا یترک کله لذا أذکر بعض المعانی الغیبیة ٱلساریة الجاریة فی مجاری کلمات ربک العلی العظیم

فاعلم بأن لهذه القدسية و الرنة اللاهوتية لمعان فى الظاهر و الباطن و باطن الباطن إلى ما لا نهاية له لأن كلمات الله مرايا محيطة على صور كل شيء لذا قال: و لا رطب و لا يابس إلا فى كتاب مبين فأما الظاهر أخبر الله بزهاق كلمة الفرس و غلبها و نصرة الروم و ظفرها بعد ما غلبت الروم و اضمحلت تحت أيادى الفرس و شتت شملهم و فرق جمعهم و تفصيل هذا أن فى أيام أشرقت شمس الأحدية من النقطة المحمدية و رفعت أعلام الهدى على أعلام يثرب و البطحاء و غنت الورقاء على أفنان سدرة المنتهى و تشهق الطاووس فى جنة المأوى قال المشركون إن كسرى ملك الفرس الذى لم يكن من أهل الكتاب غلب و ظفر على عظيم الروم الذى هو من أهل الكتاب فبمثل هذا نحن نزهق كلمة محمد رسول الله لكونه من أهل الكتاب كعظيم الروم و نحن من غير أهل الكتاب كملك الفرس فأنزل الله هذه الآية اللاهوتية و أخبر بأن الروم سيغلبون أعدائهم الفرس فى بضع سنين و البضع من الثلاثة إلى التسعة فبعد سبع من السنين أظهر الله سر ما أخبر به حبيبه الأعظم و انتصر الروم على الفرس و علت كلمتهم فبذلك أيقن المخلصون بأن علم ربك سبق كل شيء و أحاط من فى الوجود من الغيب و الشهود هذا ما غنت به طيور أفئدة المفسرين فى حدائق القرآن العظيم و من غير هذا لم يبلغوا إلى الأسرار المودعة و الرموز المكنونة المخزونة السارية الجارية فى مجارى كلمات ربك العليم الحكيم و بهذا لم يقنع الظامى العطشان إلى كوثر الروح من أيادى الفضل و الإحسان و لم يكن بشيء عند الذين جعل الله بصرهم حديدا و عرفهم معانى كلماته و علمهم تأويل آياته لذا ينبغى أن أذكر بعض ما أراد الله فى هذه الآية الغيبية و الرنة الملكوتية و النغمة اللاهوتية و أقول:

إن الروم هو الشئون التى ترجع و تنتسب إلى الحقائق الكونية و صرف الإنية و الحجب الساترة و الظلمات الصادرة عن تعينات الوجود و تشخصات الموجود و هذه تغلب و تضمحل عند شروق الأشعة الساطعة عن شمس الحق فلما انتهى كور الروح خبت مصابيح الهدى و ركدت نسائم التقى و انقطعت أرياح الوفاء و كلت ألسن بلابل الأحدية فى حديقة الولاء و تبدلت الجنة الغناء و الروضة الغلباء بالفلاة الجدباء و صاح البوم فى أغصان شجرة الزقوم إذا هبت نسائم ربيع ربك الرحمن من الوادى الأيمن البقعة المباركة و طلعت شمس الأحدية عن مطلع إرادة ربك الرحمن الرحيم و ارتفعت سحاب الفضل و فاضت على الأفئدة و القلوب و الحقائق و النفوس و اخضرت أراضى القابليات و الإنيات و أنبتت أرض المعرفة و نبتت الشجرة المباركة التى منها سمع النداء بأن يا موسى إنك بالواد المقدس طوى و ظهرت نار الحقيقة فى تلك الزيتونة التى لا شرقية و لا غربية يكاد زيتها يضيء و لو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء إذا غن عندليب المعانى على الأفنان بفنون الألحان و قال: غلبت الروم فى أدنى الأرض فأى أرض أدنى من حقائق الأشياء و تعيناتهم؟ ثم أخبر لسان القدم و الكلمة الأعظم بأن الملك الحى القيوم قدر لكل أمر أجلا محتوما فسوف - فى انتهاء هذا الدور - تأتى أيام تغرب هذه الشمس الساطعة فى خلف

سحاب متراكمة و ينتهى هذا الربيع الروحانى إلى الخريف الظلمانى و تتبدل هذه الجنة العالية و تنقعر أشجارها و تتناثر أوراقها و تسكن أرياحها و تنقطع أنهارها و يبيد صفاوءها و هذه من سنة الله و لن تجد لسنته تبديلا و لا تحويلا

إذا يا أيها السائل فانظر بالبصر الذى خلق الله خلف بصرک الظاهر هل يقتدر المنصف أن يقول إن معانى كلمات الله التامات موجودة عند هؤلاء الذين لا يميزون يمينهم عن شمالهم؟ لا فوالذى أنطق الورقاء بذكره بين الأرض و السماء بل يتيقن بأن المعانى ملهمة فى أفئدة صافية ملكوتية لو أراد الله يقيم أحدا من أحبائه الواقفين على مركز الهدى بين ملأ الإنشاء و يفسر بعونه و قوته حقائق آياته بمعان ما اطلع به إلا الله و الراسخون فى علمه إذا فأقبل إلى ربک بوجه ناضر و بصر ناظر و قل:

أى رب ثبت قدمى على أمرک و علمنى من علمک المكنون و سرک المخزون و عرجنى إلى ملكوتک الأعلى و رفيقک الأبهى و عرفنى معانى آياتک لأظهر عن أفق مشيتک ككوكب الصبح بأنوار علمک و معرفتک و أظهر للناس سبيلک القويم و صراطک المستقيم الذى من سلک فيه لوصل إلى مشرق الآثار و مطلع الأنوار لأن هذا ما يبيض وجهى عند مشاهدة آياتک الكبرى و ملاحظة آثار تجلياتک العليا أى رب و فقنى على هذه الموهبة الكبرى و الرحمة العظمى لأن هذا أملى منک و مقصدى و رجائى يا مالكى و منای فى كل أحوالى و فرح قلبى و سلوة فوءادى فى ليالى و أيامى إنک أنت المعطى الباذل الروءف الرحيم

و فى مقام الأنفس ترى لهذه الآية الربانية معانى قدسية لاهوتية منها أراد الله بكلمة الروم جنود النفس و الهوى و شعوب الجهل و العمى بما أيد عند ظهور حبيبه جنود العقل و النهى بشديد القوى حتى رأى من آيات ربه الكبرى و سمع النداء الأحلى عن الأفق الأعلى و شرب الرحيق المختوم من يد ساقى الوفاء و أخذه سكر خمر ذكر ربه الأعلى على شأن استغرق فى بحور محبة الله إذ أفنى حقيقة النفس و الهوى مع الشئون و القوى عند ظهور آثار الحقيقة المطلقة الإلهية و غلبت و اضمحلت من سطوات آيات بارئها و لكن كانت مغلوبيتها مبدأ لقدرتها و قوتها و علوها و عزتها لأنها زكت و اطمئنت فى ذكر ربها و بذلک غلبت على كل شىء و أحاطت بقدرة موجدها و مبدعها حقائق الملكوت على ما هى عليها و أدركت أسرار بارئها و مصورها فأى غلبة أعظم من هذا لو كان الناس ببصر الحق ينظرون؟ و إنهم لو يطيرن بجناح الروح فى سماء العرفان ليشهدن بأن هذا هو القدرة القاهرة و القوة الباهرة و السطوة البالغة و السلطنة الغالبة و لكن لما تواروا خلف حجب الغفلة و نسوا ما ذكروا به ضرب الله على أعينهم غشاوة و على آذانهم و قرا إذا يا أيها السائل الجليل قم بقوة على ذكر ربک بين ملأ الأرض و قل:

إلى متى تقنعون بقطرة منتنة آسنة عن البحر الأعظم الأبهى الذى تموج لذاته بذاته و جعل الله برشح منه كل الوجود حيا باقيا كما قال و قوله الحق: وجعلنا من الماء كل شيء حى و فى مقام أراد ٱلله بكلمة الروم النفوس التى استضائت وجوههم عند شروق شمس القدم عن مشرق اسمه الأعظم و صفت مرايا أفئدتهم و قابلت أشعة نير الأكرم لأن اسم الروم فى عرف اللغى و ضعت لطائفة بيضاء و أمة حميراء و النفوس الصافية التى ناظرة إلى ربها بوجوه ناضرة مبيضة مستبشرة فبهذا تحصل المشابهة و المناسبة و أما المراد بقوله عز اسمه: غلبت الروم أى غلبت فى عوالم الجسمانى تلک النفوس الزكية التى فنت عن صفاتها و حدودها عند ظهور مجليها حتى اتصفت بصفات رحمانية و ظهرت بآثار ملكوتية أرسل الله عليهم أرياح الامتحان و الافتتان و ألقاهم تحت مخالب المنكرين الذين ما استنشقوا رائحة الحياء و تركوا النهى و تمسكوا بالهوى و لكن لما كانوا غالبين من حيث الروح كذلک سيغلبون من حيث الجسد على أعدائهم بقدرة بارئهم لأن الله جعل كل الخير لأحبائه فى كل عالم من العوالم حتى فى عالم الجسم و الذكر أما تشهد بذكرهم ملئت الآفاق و باسمهم رفعت رايات الوفاق؟ و بهم اشتعل العالم و استضائت الممكنات بنور الوجود من العدم و بهم أنشقت الأحجار و تفجرت الأنهار و تموجت البحار و شرعت الشوارع و صفت الموارد و نزلت الموائد و رفعت الأمراض و حيت الأموات و زلزلت الأرض و انفطرت السماء و نسفت الجبال و أزلفت الجنان و أثمرت الأشجار و ظهرت الأسرار و هتكت الأستار و لاحت الأنوار و شاعت الآثار إذا قل:

فسبحان الله موجد هذه الشهب الثاقبة و النجوم الساطعة و الكلمات التامة و النفوس العالية و العقول المجردة و الأرواح الهائمة فى ٱلله ربها و قل أى رب أدخلنى فى ظل شجرة رحمانيتک و أغمسنى فى لجج عز فردانيتک و قدسنى عما سواک و خلصنى من غمرات النفس و الهوى حتى أقوم كما أقمتهم على خدمتک و أستقيم على أمرک بحولک و قوتک إنک أنت المعطى لمن تشاء بيدک الخير و إنک لعلى كل شيء قدير

و فى مقام أراد الله بهذه الكلمة الفرقانية شرائع الله و سننه و حدود الله و حكمه لأن الناس فى أيام الفترة تركوا أوامر الله وراء ظهورهم و نسوا حكم ٱلله نسيا منسيا بحيث و ضعوا و أسسوا أساس سياسة جهلية و قننوا أصولا و قوانين رسومية و رفعوا أعلام أحكام ظلمية ظنية بحيث تركوا العلم و الهدى و تمسكوا بأذيال الوهم و الهوى هبطوا من سماء العقل و النهى و سكنوا فى دركات الضلالة و العمى إتخذوا سبيل المفسدين و ظنوا أنه صراط مستقيم اعتكفوا على أصنام مترفيهم و جهلوا مفسديهم من مصلحيهم و بذلک خبت مصابيح العدل و الإنصاف و اشتدت قواصف الاعتساف إستولت آية الظلم و محت آثار الأنوار و ابتلى الناس بطوارق الليل و جوارح النهار بما تركوا أوامر ٱلله و سننه و حرفوا أحكام ٱلله و حدوده و بذلک غلبت الشرائع المقدسة الربانية بين الناس و لكن بقدرة الله و قوته عند طلوع صبح الهدى من أفق

البقاء فتقت سحاب الظن و الغوى و رتقت سماء العلم و التقى لاحت آية النور و محت ظلمات الديجور ظهر الصراط القويم و نصب القسطاس المستقيم امتدت العروة الوثقى التى لا انفصام لها و هبت لواقح ربيع العدل و الحكمة من مهب عناية الرب القديم و ألبست أشجار الهياكل الإنسانية بأوراق العلم و الحكم الربانية غرست الشجرة الطيبة التى أصلها ثابت فى الأرض و فرعها فى السماء و توءتى أكلها فى كل حين و امتدت أغصانها و أفنانها فى الآفاق و اوت و وكرت عليها طيور الوفاق و غن عليها عندليب الأريب بذكر الحبيب و رنت فى أفنانها حمامة الودود بمزامير آل داود على شأن اهتزت الأرواح و انشرح الصدور و قرت الأعين و طابت النفوس و صار الإمكان حديقة الرضوان أما ترى بأنه ظهر بين أمة متوحشة ذليلة و طائفة جاهلة ممقوتة بين كل الأمم؟ و كان جهلهم على درجة ما كانوا يميزون اليمين عن اليسار و يكتبون على صفحات الماء و يأتون كل فاحشة و يعملون ما يتنفر منه الحيوان فكيف الإنسان و لكن لما ظهر بينهم الحبيب الأعظم و النور الأفخم و آية القدم و الصبح الأبسم و أووا فى كهف تربيته ما مضى أيام معدودة و سنين محدودة إلا و ترقت هذه الطائفة الجاهلة من حضيض الجهل إلى أوج العلم و الحكمة و برعت فى الفنون و المعارف و فرعت على أعلام العلوم و العوارف و اشتهرت بين الخلائق بخصائص الإنسانية و صفات الرحمانية حتى صارت معدن الكمال و العرفان و محور دائرة المفاخر و الإحسان و بذا انتصرت على الآفاق و تسلطت على كل القبائل و الشعوب من البرايا فصارت الناس يأتون من كل فج عميق إلى بلادهم حتى يتعلموا العلوم و الحكم و يتزينوا بحلل الفضل و الكمال كل ذلک ما كان إلا بفضل الله و رحمته بما بعث فيهم خير البرية بقوة عجزت عنها الخلائق أجمعون

و فى مقام أراد الله بكلمة الروم الحقائق الممكنة المتجلية بأسماء ٱلله و صفاته المصطلية من نار الأحدية الموقدة فى البقعة المباركة فى بحبوحة الجنة الظاهرة المشهودة على أربعة أركان قدمية الموءسسة بزبر الألوهية و الربوبية القائمة بجوهر الفردانية فيا ليت فتح الرحمن عن فم هذا الغلام ختام الحفظ و الكتمان حتى أبين لک يا حبيب مقامات نار الأحدية و الشجرة المباركة و أغصانها و أوراقها و شئون بقعة الفردوس التى سترها الله عن أعين الكل إلا الذين طاروا بجناح النجاح فى هواء يظهر فيه الأفراح للأرواح و استنشقوا رائحة الوفاء عن قميص البهاء المرشوش بالدم الحمراء بما فعل المشركون بجماله المشرق المنير بعد ما أخذ الله العهد منهم فى كل كتب و صحف و زبر عند إشراق كل نور من أنواره و طلوع كل نير فى آفاقه بأن يعترفوا بقدرته و سلطانه و يسجدوا له يوم يأتيهم فى ظلل من غمامه و يفدوا أنفسهم حين ظهوره فداء للقائه فوا حسرتا عليهم و أسفا لهم بما فرطوا فى جنب الله فسوف يأتيهم نبأ ما كانوا عنه غافلين إذا اقشعرت جلودهم و استدمت أكبادهم و ذابت قلوبهم و ناحت أرواحهم و تأوه سرهم و عضوا أناملهم حسرة و ندامة على ما فعلوا و حرموا على أنفسهم مائدة الحياة النازلة من سماء رحمة ربهم العزيز الغفور

فلنرجع إلى ذكر ما كنا فيه من بيان كلمة الروم فقلنا بأن المراد منها حقائق الأشياء و ماهياتها و سعة الممكنات و قابلياتها و المراد من غلبت الروم أى عمت الفيوضات الرحمانية و التجليات الصمدانية حقائق الممكنة المستفيضة من النور القديم و شملتهم و غلبت عليهم و أحاطتهم من كل الجهات ظاهرا و باطنا اليوم الذى أشرقت شمس القدم من شطر الآفاق لأن فى مثل ذلک اليوم المبارک الموعود لا ينظر الحق إلى سعة الحقائق الموجودة و استعدادهم بل يفيض عليهم من بحور فضله و إحسانه و لو لم يكن لهم سعة قطرة من أنهاره بحيث ترى يلبس الفقير ثوب غنائه و يتردى المسكين الذليل رداء عزه و علائه كما قال و قوله الحق: و نريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين

أن يا أيها الطائر فى هواء محبة الله و السائح فى بحار الفضل قم عن رقد الأوهام و افتح بصرک لتشهد بأن جمال القدم كيف مشرق عليک و على الممكنات من أفق الفضل و يلوح وجهه بين السماء و الأرض و ترى شمول فضل مولاک و عميم إحسانه على المقبلين و تبصر كيف يتموج طمطام رأفته الكبرى عن يمين إرادته و تهب روائح الرحمة العظمى من مهب عنايته لتعلم بأن هذا يوم لو أراد الذباب أن يستنسر و القطرة أن يستبحر فى ظل هذا الجمال ليقدر بعون الله و قوته كما قال و قوله الحق: لو أرادت نملة أن تتصرف فى القرآن و باطنه و باطن باطنه فى حكم سواد عينها لتقدر لأن سر الصمدانية قد تلجلج فى حقائق الممكنات إذا قل: تبارک الذى أظهر قدرته و سلطانه و رحمته و إحسانه فى هذه الأيام على الخلائق أجمعين

و أما قوله تعالى: و هم من بعد غلبهم سيغلبون أى يأتى أيام فيها تغرب شمس الأحدية فى مغرب البقاء و تركد نسمات الروح عن شطر الوفاء و تخبو سراج المحبة فى صدور ذوى الحجى و تخمد نار الشوق فى قلوب أولى النهى و تنقطع مائدة العرفان من سماء الإيقان و يمنع سحاب القدس عن بذل الأمطار و بحر الأحدية عن قذف درر الأسرار و ينتهى هذا النعيم الأوفر و الحظ الأكبر و ينقلب هذا اليوم الأنور بالليل الأليل فإذا وجدت الإمكان على هذه الأحوال فاعلم و أيقن بأن قرب صباح الإيقان و دنا طلوع فجر الرحمن من مشرق الإمكان و مجىء ربک فى ظلل من الغمام إذا فارفع يديک مقبلا الى مولاک و قل:

لک الحمد و الشكر يا ربى الأبهى بما خلقتنى و بعثتنى فى اليوم الذى لاح وجهک و ظهر جمالک و أشرقت طلعتک و سبقت رحمتک و سبغت نعمتک و أحاطت قدرتک و ظهرت آياتک و علت كلمتک و ثبت برهانک فوعزتک لو أثنى عليک بدوام سلطنتک لن أستطيع أداء كلمة من شكرک و لكن لما رأيت من عميم فضلک و عظيم جودک و إحسانک تقبل القطرة من عبادک مقام البحر و تحسب الذرة مقام الشمس لذا قدمت بين يديک بضاعة شكرى التى لم تكن إلا كرنة بعوضة فى الواد أو كدبيب نملة على الأصفاد و إنک أنت الغفور الرحيم

و منها أراد الله بهذه الكلمة القرآنية مقام النظر و الستدلال و إقامة الأدلة القاطعة و البراهين الناطقة على و حدانية الحق و فردانيته و عزته و قدرته و سلطانه كما شهدت و رأيت فى أيام التى مضت قبل ظهور نير الأعظم عن مشرق اسمه المكرم بحيث ما كان لأحد سبيل إليه و لا دليل عليه إلا ما دلت العقول و الأنظار من ظهور آياته و بروز آثاره و كان الناس يستدلون بها على وجوده و تنزهه عما سواه و لكن لما طلعت شمس الآفاق عن مطلع القدم فى الهيكل المكرم و استضاء الوجود بالأشعة الساطعة على كل موجود خرقت حجبات النظر و الاستدلال و سقطت رايات الدلائل و الإشارات و رفعت أعلام المكاشفة و الشهود على أعلام القلوب و الأبصار و فاز الأحرار بلقاء ربهم يوم زلزلت الأرض و نسفت الجبال إذا قل: فتبارک الله الملک العزيز الجبار الذى أتى فى ظلل من الأنوار بسلطان عظيم غلبت الروم أى اضمحلت قطرات مياه النظر و الاستدلال عند تموج أبحر المكاشفة و الشهود بعد الذى كان برد لوعة الطالبين و رواء غلتهم و شفاء علتهم و انعدمت و اضمحلت كأن لم تكن إلا أوهام و ظنون و قياس و تصورات لأن مثل الأدلة عند ربک كمثل الظل عند طلوع الشمس و لو كان دليلا عليها لم يكن لها وجود عند ظهورها و لا له بقاء تلقاء سطوع شعاعها بل هو محجوب عنها و لو دل عليها و عند الذين شربوا سلسال الرحيق المختوم من يد عناية اسمه القيوم أعظم حجبات العباد أن يعتمدوا على الظل الفانى لمعرفة شمس القدم أو يتكئوا على الآثار و يستدلوا به على وجود موجد الأنوار و مع ذلک يحسبون أنهم و صلوا إلى مركز الهدى و ساروا فى أفلاک النهى كلا إنهم فى غمرات الظنون يخوضون و فى بيداء الأوهام يتيهون إذا قم بقدرة من الله و قوة من سلطانه و خاطب الغافلين و قل:

إلى متى تركضون فى برية الجهل قد سطع برق المعانى فى سماء الروح و اشتعل الآفاق بنار الله الموقدة التى ظهرت عن سدرة سيناء فى طور البقاء ألا يا معشر المشتاقين تقربوا إليها حتى تصطلوا منها و تهتدوا بها و تتوقدوا من جذواتها و تسمعوا زفيرها و قل قد قرت عيون الأشياء بلقاء ربها و أنتم لا تبصرون قد انتبهت الممكنات و أنتم غافلون قد قامت الموجودات و أنتم فى فراش الغفلة ترقدون نطقت ألسن كل شىء بذكر مليک الأسماء و أنتم تصمتون إن لم تتوجهوا إلى ذلک الجمال فبأى جمال تنظرون و إن لم تنتبهوا من هذا النداء فبأى نداء تنتبهون و إن لم تهتزوا من هذا الروح فبأى روح تتحركون؟ هل تحسبون أنفسكم أحياء كلا إنكم من أصحاب القبور أتزعمون بأنكم تبصرون أو تسمعون بل صم بكم عمى فلا تفقهون هل الرحمة ما سبقت أم النعمة ما سبغت أو الحجة ما كملت و البراهين ما ظهرت و الآيات ما نزلت و الكلمة ما تمت و حمامات الفردوس ما غنت و الجنة ما أزلفت و الشجرة المباركة ما أثمرت و بحور الأسرار ما تموجت؟ بل وقعت الواقعة العظمى و ظهرت الطامة الكبرى و حشر كل شىء فى محضر الله المهيمن القيوم و لو كان المشركون فى سكرتهم يعمهون

و منها أراد الله بهذه الكلمة التامة الشئون الجسمانية و الحقائق الناسوتية و عوارضها و خصائصها فى عالمها و حيزها و المراد من قوله عز شأنه: غلبت الروم أى فنت الشئون الجسمانية عند ظهور الآيات الروحانية و فاضت أنهار الحقيقة على أراضى الأفئدة الصافية عند استواء الرحمن على العرش الأعظم بين الأكوان لأن الجنود الروحانية تبطش و تصول على الأحزاب يوم الإياب بقوة رب الأرباب لذا تغلب الجسمانيات و يكون الحكم للروحانيات و فى ذلک لآيات للمتبصرين

و منها أراد الله بهذه الكلمة المحكمة الثابتة مقام الظنون و الأوهام فى أفئدة العوام لأن فى أيام أفول شمس العلم و الحكم تشهد الوهم و الظن هو السلطان الأعظم بين ملأ الأكوان فترى إنما يعتمد الكل فى المسائل و المعارف على الظن حتى الشرائع و السنن فلا يقتدرون أن يسبحوا فى بحور العلم و يخوضوا فى طمطام الحكمة و لكن عند شروق شارق اليقين من أفق مبين تزهق أشعة جمال المعلوم ظلمات الوهم و الظنون إذا ينطق لسان الإبداع بأن: جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا

أن يا حبيب قل بلسان بديع لک الفضل و المن و الرحمة و الإحسان على هذا الرقيق الذى لا يليق بشىء فى ملکک بما نجيتنى من تيه الظنون و آويتنى فى أفنان سدرة العلوم بل أغنيتنى عن العلوم بما و فقتنى على معرفة جمالک المعلوم أى رب ثبتنى على حبک و أقمنى على إظهار أمرک و إثبات حکمک و اجعلنى علما على أعلامک بين عبادک لأكون مهبط إلهامک و موئيدا بآثارک إنک أنت المقتدر على كل شىء بقدرتک و سلطانک يا محبوب العالمين

و منها أراد الله بهذه الكلمة الجامعة مقامات النفس و مراتبها و درجاتها و علوها و اضمحلالها و صعودها و سقوطها من فضل بارئها و نعمة موجدها و بطش مبدعها فاعلم بأن النفس لها مراتب شتى و درجات لا تحصى لكن كلياتها فى مراتب الوجود معدودة و محدودة بنفس جمادية معدنية و نفس نامية نباتية و نفس حيوانية حساسة و نفس ناسوتية إنسانية و نفس أمارة و نفس لوامة و نفس ملهمة و نفس مطمئنة و نفس راضية و نفس مرضية و نفس كاملة و نفس ملكوتية و نفس جبروتية و نفس لاهوتية قدسية

فأما النفس المعدنية عبارة عن مادة جوهرية فى المعادن و هى كمالها و صفاوءها و التأثيرات الظاهرة منها فانظر إلى الأحجار الثمينة المعدنية كيف تنطبخ فى معدنها حتى تصل إلى كمالها و جمالها بظهور نفسها فيها و بروز جوهريتها بها

و أما النفس النامية النباتية فهى عبارة عن الجوهر الذى تقوم به القوة النباتية التى بها تنبت و تنمو الحبوب و الأوراق و الأغصان و الأشجار بحيث تأخذ من المواد و الإسطقسات و تعطى الأشجار و النباتات حتى آنا فآنا تترقى و تمتد أغصانها و تعطى ثمارها و أزهارها أوراقها

و أما النفس الحيوانية هى عبارة عن الجوهر الذى قائم به القوى الحساسة للمحسوسات الجسمانية

و أما النفس الإنسانية عبارة عن النفس الناطقة أى الجوهر الذى به تقوم قوى الإنسان و الحواس الظاهرة و الباطنة و الكمالات و المعارف الربانية و العلوم الإلهية و الفنون الصمدانية و الحكم الغيبية و كذلک معرض لشئون الشهوات الظلمانية و النقائص الناسوتية فسبحان الله من هذه الآية العجيبة و النقطة العظيمة و الكلمة الجامعة فى صحيفة الإمكان بحيث ترى لها شئونا مختلفة و مراتب متنوعة متضادة و درجات متعددة مما لا نهاية لها و لها استعداد أن تكون مرآة لظهور حقائق لاهوتية و مجلى لبروز صفات كاملة ربانية و لها تنزلات فى ظلمات كونية و احتجابات بحجب كثيفة ناشئة من حدودها و تعينها و مانعة لوصولها إلى مبدئها و مرجعها و ساترة عنها آيات موجدها المودعة فيها بفضل بارئها و لأجل ترقياتها إلى مراتب القرب و الوصال و تنزلاتها فى مهالک البعد و الضلال تتقمص فى كل مرتبة و مقام بثياب أخرى غير الأولى لذا تعبر فى كل مرتبة بعبارة مثلا فى مقام تنزلاتها فى أسفل مراتب الشهوات الحيوانية و اشتغالها بزخارف الدنيا الدنية و شغفها فى مشتهياتها الخبيثة الفانية و انجمادها من برودة الإمكان و انخمادها عن حرارة حب ربها العزيز الوهاب و سقوطها و هبوطها فى و رطة الضلال و غلوها و انهماكها فى المنكر و الطغيان فاعتبرت بنفس أمارة كما قال و قوله الحق: إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى ثم تترقى من هذا المقام الهائل و الدرک السافل إلى مقام يأتيها أحيانا نبأ خوضها فى و رطة المهالک و انغماسها فى لجج الغفلة و سلوكها فى تلک المسالک و انحجابها عن الله ربها و غفلتها عن بارئها و حيرتها فى تيه الضلالة و الهوى و نسيانها ذكر الله الملک العزيز الأعلى تارة يمر عليها نسيم التبصر فى أمرها و تتيقظ أقل من الشىء فتلوم ذاتها بما تراها خائضة فى غمرات الغفلة و الغى و تشمتها بما تشهدها هائمة فى بيداء المنكر و البغى و تتأسف لدنوها و سقوطها و هبوطها فى أسفل درجات الذل و الشهوات المهلكة و انحجابها خلف حجبات متراكمة التى تمنعها عن الصعود إلى الدرجات العالية الروحانية و تشغلها عن ذكر الله بهذه الوساوس الباطلة الشيطانية فلأسفها و ندمها فى هذا المقام و لومها ذاتها تعتبر بنفس لوامة كما قال جل اسمه: و لا أقسم بالنفس اللوامة و لما ارتقت من هذا المقام الأدنى الأذل الأوحش و صعدت إلى مكمن الأعز الأقرب الأوفر و أيدت بتأييد آلله و ألهمت مضمون كتابها كما قال: اقرأ كتابک كفى بنفسک اليوم عليک حسيبا و أتتها آيات الإلهام و ظهرت لها حقيقة الليل من النهار و دعيت إلى شاطئ بحر العرفان و رزقت بموائد القدس من جنة الرضوان و جنت من أثمار شجرة الإحسان و سقيت من أنهر الفضل و الإكرام و تنعمت بنعم البقاء و ذاقت حلاوة الآلاء و عرفت علوها و دنوها و صعودها و هبوطها و طلوعها و أفولها كما هو حقه و تبصرت فى أمرها و تيسر لها عسرها و صارت تميل من الفانيات إلى الباقيات و تغمض النظر عن الموجودات و تقلبه إلى ساحة العزيز الجبار و ترتقب النداء من الملأ الأعلى و تلتفت إلى الشئون التى ترقيها حتى توصلها إلى عرش الاطمئنان و كرسى الامتنان فتصير مهبطا لموارد الإلهام بين الأنام و تجد

من سعيها و مجاهدتها الفوائد التى توصلها إلى مقصدها و مطلبها إذا تعتبر بنفس ملهمة لأنها ألهمت بفجورها و تقواها كما قال تبارک و تعالى: و نفس و ما سواها فألهمها فجورها و تقواها و فى مقام تنبهها بذكر ربها و تيقظها بنداء بارئها عن رقد الأوهام و تذكرها بذكر الله العزيز العلام و صعودها و عروجها إلى مقامات الحب و الاطمئنان و انغماسها فى طمطام الإيقان و مشاهدتها آيات الله من مشارق الإمكان و آفاق الأكوان و أنفس الرحمن و ظهور آية التوحيد من مطلع الجنان و دخولها و خلودها فى بحبوحة الجنان و فورانها من حرارة حب ربه العزيز المنان و سيرها و سلوكها إلى الله المقتدر الملک الحنان و جلوسها على عرش السكينة و الاستقرار و شربها من كوءوس الاستقامة و الثبوت فى كل الأحيان تعتبر بنفس مطمئنة لأنها اطمئنت فى الإيمان و سكن اضطرابها و قلقها و رويت غلتها و بردت لوعتها و رقت و انكشفت حجباتها و تبدلت بالنور ظلمتها و زالت بطالتها و كمل نقصانها و خرقت أستارها و هتكت أسبالها و ظهرت أسرارها و زلزلت أرضها و أخرجت أثقالها و حدثت أخبارها بأن ربک أوحى لها فسبحان الله هاديها و ناجيها و منورها و مصورها عن كل ما يقول الجاهلون و إذا و صلت إلى هذا المقام الأعز الأوفى و المورد الأعذب الأصفى الأحلى و شربت من هذا المنهل الأرق من الصبا تفوز بمقام التسليم و الرضى و ترک الطلب و الاقتضاء و تفوض الأمور إلى الله الملک العزيز القيوم و تتوكل عليه و تتكأ على و سادة فضله و إحسانه و لا ترى فى هذا المقام ما يخالف رضاها و لا تختار الراحة الكبرى على المصيبة العظمى بل إنها راضية بكل ما قضى الله لها فتراها فرحة مسرورة عند نزول البليات و شاكرة ممنونة لدى تموج أبحر المصيبات و الرزيات و لو يأتيها من سحاب القضاء سهام الشدائد و البأساء و تنزل عليه أمطار البث و الضراء لتراها رطب اللسان بشكر ربها المستعان و فصيح البيان فى ذكر الملک المنان و هذا مقام لو فزت به لتصل إلى سرور لا يتبعه الأحزان و فرح لا يتلوه الأكدار و فرج و سعة لا ينتهى إلى الضنک و الشدة و يسر لا يعاقبه عسر و محنة لأن أزمة الأمور فى قبضة قدرة ربک و الأرض جميعا قبضته يوم القيامة و السموات مطويات بيمينه سبحانه و تعالى عما يشركون بحيث لا تتحرک و رقة على شجرة و لا تسقط ثمرة إلا بإرادة ربک الرحمن الرحيم و السالک فى ذلک المقام الأعلى لا يبقى له إرادة و سكون و حركة و قدر و قضاء إلا بالله بل تفنى ذاته و صفاته و كينونته و إنيته كلها بسطوات آيات التوحيد كما تزول الأظلال عند شروق شارق القديم فمتى فنت و اضمحلت إرادته فى إرادة الحق فصارت إرادته عين إرادته و رضاوءه عين رضائه و ارتفع الحجاب و زال النقاب و اضمحل الشرک فى حقيقة الفوءاد ظهرت فى النفس آية الرضاء إذا لرضائها بقضاء بارئها و تسليمها لأمر خالقها اعتبرت بنفس راضية فبما أدركها سوابق الفضل و الرحمة و أحاطتها الآلاء و النعمة و شملتها ثياب الجود و الإحسان و أقمصها الله قميص الانقياد و الرضوان يخاطب من الملأ الأعلى طوبى لک بما قطعت السبيل و طويت الطريق حتى و ردت شريعة الوفاء و شربت زلال التسليم و الرضاء و تركت هواک و رضيت بقضاء مولاک و أنفقت ما

لک و علیک و فدیت روحک و قلبک و فؤادک فی سبیل مولاک و هذا قرة عینک و بذلک تنال إلی المقام الأعلی و الرفیق الأبهی و تصیر مرضیة مقبولة عند الله ربک و مستظلا فی ظل فضل مولاک مستبشرة مسرورة مهتزة بمنه و إحسانه إن فضله بعباده المخلصین عظیم فلأجل صعودها بوسائط الرضا إلی المعارج المرضیة عند الله ربها و مقبولیتها فی فناء موجدها اعتبرت بنفس مرضیة و لما طارت بأجنحة القدس فی فضاء هذا الفردوس و ذاقت حلاوة مقامات الأنس فی حدیقة الإفریدوس و اجتمع فیها هذه المقامات العلیة النورانیة و تصاعدت إلی هذه المراتب الرفیعة الروحانیة و تفجرت من شواهق حقیقتها ینابیع حکم الصمدانیة و صارت مهبطا لموارد الإلهام و مطلعا لسطوع أنوار هذا الإشراق و اطمأنت بذکر الله المهیمن المنان و صارت راضیة بقضائه و مرضیة فی فناء بابه لذا عبرت بنفس کاملة لاتصافها بهذه الکمالات الروحیة الرحمانیة و اشتمالها لهذه الصفات الجوهریة الربانیة إذا استحقت و استعدت للدخول فی حدیقة ملکوت الله التی کانت جنة الأبرار و مأوی الأحرار الذین استنارت وجوههم ببشارات الله و ظهرت فیها نضرة الرحمن و آیة المنان و إلی هذه المقامات أشار بقوله عز کبریائه: یا أیتها النفس المطمئنة ارجعی إلی ربک راضیة مرضیة فادخلی فی عبادی و ادخلی جنتی لأن جنة المأوی و حدیقة الکبریاء و الروضة العلیا و الفردوس الأعلی هی ریاض ملکوت الله التی فتحت الیوم أبوابها و انبسطت أرضها و أشرقت أنوارها و أثمرت أشجارها و تفتحت أزهارها و جرت أنهارها و تموجت بحارها و تفجرت ینابیعها و رق نسیمها و دق أدیمها و غنت و رقاوءها و تبسمت ثغورها و تبلج سحورها و سطع بروقها و أنار شروقها و سجعت طیورها و تزینت قصورها و آن حبورها

إذا قم بقوة من الله و قل بأعلی النداء: فاسرعوا یا أیها المشتاقون إلی مطلع هذا النیر الساطع اللامع القدیم و اقصدوا هذا الملاذ الشامخ المنیع و النفس إذا دخلت هذه الجنة العالیة و الحدیقة الباقیة و استهدت إلی فجر هذا الیوم الأنور و وردت هذا المورد الأعذب الأصفی الأطهر و اکتسبت الکمالات و اقتبست أنوار جواهر الأسماء و الصفات و شربت من هذه الکأس التی کانت مزاجها کافورا و ساحت خلال هذه الدیار و خاضت عمق هذه البحار و اهتدت إلی هذه النار الموقدة المشتعلة فی فاران الحب تثبت فی حقها کلمة التوحید و تستقر فی ذاتها آیة التجرید و تفوز بحیاة أبدیة و عیشة سرمدیة و تتلذذ من النعماء التی لم تر عین مثلها و ما سمعت أذن شبهها و تشرب من الینابیع الصافیة التی تجری عن یمین عرش الحقیقة و تذوق من أثمار الشجرة المنبتة فی بحبوحة الفردوس المهتزة من نفحات التی تأتی من شطر الجمال و یحیی بها قلوب الموحدین و تهتز منها أوراق أفنان أفئدة المخلصین و تفوز و تصل إلی مرکز البقاء فی ظل وجه ربها الأعلی بحیث لا تواریها شائبة الفناء و لا یطرق علیها طوارق الانعدام و الاضمحلال کما قال و قوله الحق: کل من علیها فان و یبقی وجه ربک ذو الجلال و الإکرام

والنفس إذا نشرت أجنحة الروح و انجذبت من جذبات الله و طارت إلى الأفق الأعلى و قصدت رفيق الأبهى ترتقى إلى مقام الجبروتية الرحمانية و توٴيد بالقوة القاهرة و القدرةالباهرة و السر المنمنم القديم و الرمز المكرم العظيم و تطلع على خفيات الحقائق المكنونة المستورة الغيبية التى احترقت فى حسرتها قلوب العارفين و تنطبع من الأشعة الساطعة من شمس الحق و آثارها و تحكى عن ظهورها و أنوارها فى كل الشئون و الأطوار و تتعارج إلى مقام جعله الله منزها عن إدراک المدركين لأن هذا المقام خلق من أركان القدرة و القوة و العزة و السطوة و السلطنة و الإقتدار و الهيمنة و الاستقلال لا يشوبه شيء من الحدود و الكثرات بل هو جوهر التوحيد و ساذج التفريد و التجريد و نور الأنوار و سر الأسرار و سدرة المنتهى و الدرجة العليا و المركز الأعلى و المسجد الأقصى و غاية القصوى فى عالم الخلق و لو أن الكمالات لا بداية لها و لا نهاية و لن تحد فهنيئا لمن دخل هذا المقر المقدس المكرم العظيم

فأما النفس الإلهية هى عبارة عن الحقيقة الكلية الجامعة للحقائق اللاهوتية الربانية و الدقائق الصمدانية الظاهرة بالنور القديم و الباطنة بالسر الأعظم العظيم النقطة الأحدية التى منها ظهرت الأشياء و إليها أعيدت و منها بدئت و إليها رجعت فكانت أحدية الذات و واحدية الصفات ثم تكثرت بالظهور و الآثار و تشعبت و تفصلت و تفننت و تلألأت فامتلأت و تنورت منها الأنفس و الآفاق فى يوم الميثاق و اهتزت بها هياكل التوحيد و تحركت و نشأت منها أفنان سدرة التفريد و تقمصت بالطراز الأول و النور الأكمل و ظهرت من آية منها كل الأسماء المدركة للحقائق الإنسانية و نشأت من سمة منها كل الصفات الحقيقية الغيبية فهى مركز دائرة الوجود بظهور لا إله إلا الله و قطب فلک البقاء الذى يدور عليه كوكب التفريد و التوحيد بحيث يدور كل الحقائق الغيبية حول هذه النقطة الأحدية اللاهوتية و تقتبس كل الكينونات اللطيفة النورانية من هذه النار المشتعلة الملتهبة الناطقة فى سدرة الإنسانية بأنه لا إله إلا هو العزيز المقتدر القيوم و هذه النفس عبارة عن حقيقة الهياكل المقدسة و الأعراش الحقيقية لا تقدر أن تجول فوارس عقول البشرية فى هذا المضمار و لا تطرق طيور إدراكات البرية هذه الديار إنما للمخلصين منهم الحظ الأوفر من أشعة هذا النور الأنور عند مسارعتهم و وفودهم إلى فناء باب مليک مقتدر تبا و سحقا لقوم يظنون أنهم أدركوا علاهم مع أنهم لم يحوموا حول حماهم كيف يقتدر ذباب الفناء أن يزاحم عنقاء مشرق البقاء؟ و أنى للقطرة المنتنة الملح الأجاج أن تقتحم بحر العذب الصافى المواج كلما يتعارج المتعارجون إلى أعلى مقامات العرفان أو يتصاعد الموحدون إلى أسمى مشاعر مراتب الإيقان إنما يقرأون أحرف كتاب أنفسهم و يصلون إلى الآية المتجلية المودعة المندمجة المكنونة فى حقائق كينوناتهم و يدورون حول مراكز دوائر ذاتياتهم و أما مراتب التى فوق عوالمهم و مداركهم لن يقتدروا أن يستنبئوا منها و لا يستطيعوا أن يدركواها فانظر بعين الحقيقة إلى المكونات الخارجية تشهد كل ما دون لن يقدر أن يدرک ما فوقه و لو يترقى فى مقامه إلى أعلى ذروة الايجاد كما تشهد أن الجماد كلما يرتقى و يتعارج إلى سمو الكمال

لن يقتدر أن يعرف و يدرک مقام النبات و کذلک کلما يزداد النبات بهجة و نموا لا يستطيع أن يطلع على حقيقة الحيوان و بمثل ذلک الحيوان کلما يستکثر الحسن و الزهو و الاعتدال لن يتمکن له معرفة هوية الإنسان و حقائقه و شئونه و صفاته

إذا فاعلم بأن النفوس على اختلاف مراتبهم و شئونهم و درجاتهم يجرى عليهم هذا الحکم بحيث لن يستطيع أحد أن يتجاوز حده و شأنه و لا الطير يقتدر أن يطير فوق منتهى أوج طيرانه فإذا کان الحال على هذا المنوال بين الأشياء المکونة الممکنة الخارجة التى تشتمل على المناسبات و المشابهات فکيف إذا بين مقامات الإمکان و مقامات الحقائق اللاهوتية التى ذهلت العقول عن إدراکها و تحيرت النفوس فى عرفانها و عجزت الألسن عن بيانها و کلت أجنحة طيور القلوب و الأفکار عن الطيران فى سماء تبيانها

فلنرجع إلى ما کنا فيه من مقامات النفس و مراتبها و شئونها و علوها و دنوها و سموها فقلنا هذه الآية الکبرى فى مقام تدل على النفس و مراتبها و تقلبها من مرتبة إلى مرتبة و من مقام إلى مقام لأنها فى کل مرتبة تترک حدودها و شئونها و تغلب من سطوات آيات مرتبة التى فوقها و تضمحل من صدمات شئون التى تزکيها و تلطفها و تطهرها و تنزهها عما لا يليق بها فى سبيل بارئها و إذا خلصت و نجت من کل مرتبة دانية و صعدت بإعانة موجدها و مصورها إلى مرتبة عالية تنتصر على قوى المراتب السافلة و تغلب جنود حقائق الشئون الدانية

إذا فاعرف ما قال جل ذکره: غلبت الروم أى غلبت و اضمحلت و فنت نفس الأمارة بالسوء من الصواعق النازلة عليها من عوالم الملک و الملکوت و الشهب الثاقبة الواردة عليها من مکامن العز و الجبروت إذا أيدت بجنود النصر و الهدى و نصرت بملائکة الروح و التقى و انتبهت من نومها و غفلتها و انتهت من خوضها و هبوطها و سقوطها و شهدت نزولها و دنوها ثم تذکرت فى أمرها و دقت بصرها و صفت نظرها حتى عرفت ما هى عليها و الذى حجبها و منعها و صار سببا لبعدها و نکرها و غفلتها و سکرها إذا تمسکت بأذيال الفضل و الرحمة و ابتهلت إلى الله و لاذت بحضرته حتى صعدت و نجت من ذلک المقام و المرتبة و دخلت المقام الأعلى و کذلک تتقلب فى المقامات و المراتب و تغلب حتى تعود إلى مبدئها و ترجع إلى مرکزها و تتردى برداء کمالها و تدخل فى ظل ربها مقعد صدق عند مليک مقتدر

أن يا أيها المشتعل الملتهب من نار محبة الله فاعلم بأن هذا العبد لو يريد أن يفسر هذه الآية اللاهوتية بکل المقامات الغيبية و الحقائق الإلهية و المراتب الجبروتية و الملکوتية و الحقائق الکونية و العوالم الغيبية و الشهودية و الظهورات الأحدية و الشئونات الواحدية و الکينونات الروحية و الأرکان القلبية و المشاعر الحقيقية و النفسية و توابعها و لواحقها بأتم بيان و أکمل تبيان لأقدر بعون الله و قوته و فضله و تأييده و

لكن النفوس لن يقتدروا و لن يستطعوا أن يسمعوها و يدركوها لذا أمسكنا القلم عن البيان و الجريان و أعطيتک مفاتيح التبيان فافتح بقوة مولاک کل الأبواب المسدودة على الوجوه لتطلع على أسرار الله الغيبية المستورة المكنونة المخفية و تشهد و تجتلى مواقع السر المستسر المصون و تسيح و تسير فى هذا الملكوت الواسع العظيم و تخوض فى هذا البحر الزاخر المواج و هذا الطمطام العظيم الثجاج و تلتقط من درارى النور بفضل مالک الظهور فورب غفور و جمال مشكور مشهور لو أحد من المخلصين يتوجه إلى الله فى هذا اليوم الأكبر و ينظر بالبصر الأطهر ليعرف كل الحقائق و المعانى من كل كلمة من آيات الله المهيمن القيوم بل فى كل حرف و فى كل نقطة لأن الحقائق و المعانى بتمامها سارية جارية فى باطنها و تتفجر منها أنهارها و تتموج فيها بحورها فهنيئا للواصلين و هذه المعانى التى أوردناها تظهر و تنجلى من هذه الآية المباركة إذا قرأنا: غلبت الروم أى بصيغة المجهول و لكن إذا قرأناها بصيغة المعلوم يظهر منها معان أخر لا يسعنا اليوم بيانها و إظهارها و كشف رموزها و أسرارها و تركناها لوقت معلوم و على الله نتوكل فى كل الأمور و بحبل رحمته و فضله نتوسل إنه معطى السائلين و مغنى المفتقرين

(عبدالبهاء عباس)